طلابنا والحفاظ على الإيمان

تقديم : لرئيس التحرير

ما احسن ان يتصرف شبابنا من طلاب العلم في الدراسات العليا اذا ما تعرضوا لبعض التشكيك او الانكار في صورة اسئلة يجري فيها الحوار معهم سواء من الذين يريدون ان يعلموا جوهر الايمان عند هؤلاء الشبان ـ لعلهم يهتدون فكلمة الاسلام اصبحت في كل موطن جهيرة . لها انصارها الداعين اليها ـ الجالبين لكثير اسلموا على ايديهم ، وسواء من الذين يغرضون من اثر بغضائهم لهذا الدين ، وحقدهم على العرب ، كل هؤلاء طالب الهداية او المغرض ـ اذا ما تقدم بسؤال لاحد طلابنا ، فان هذا الطالب الذي يجري معه الحوار .

أحد اثنين :

اما ان يرفض السؤال لان الاجابة عنده هي الثبات على ايمان ، واما ان يجري الحوار بطبع السماع حتى اذا استوعب السؤال وما فيه من سوء أراد به السائل ان يحرجه ليخرجه عن اعتقاده ، هذا الطالب السماع الحفيظ على ايمانه يلجا الى أهله .. يسال من يحسن الظن به .

فمثلا أرسل طالب طليعة يثق به معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبدالله ال الشيخ ، هذا الطالب ارسل الأسئلة المحرجة ـ فاختار ان يرسلها الى موطن الثقة لديه الشيخ حسين بن عبدالله ال الشيخ ، فدرسها فضيلته كواحد من الحريصين على الايمان على اساس من الدعوة السلفية .

درس الشيخ هذه الأسئلة وبالمصادفة أجرى حوارا عنها او بها مع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المتولي الشعراوي المتحدث عن حقائق الاسلام في اكثر من تلفاز ومذياع ومنبر .

اخذ فضيلة الشيخ الشعراوي متبرعا بالاجابة عنها فاستحسن معالي وزير التعليم العالي هذه النخوة منه فاعطاه اياها ليرسل اليه جوابه عنها .

وقد تفضل معالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة الدارة فسلمني اجابة الشيخ انشرها في المجلة ليطلع عليها مرسل الأسئلة واخوانه ولعلنا بصدد الاقتراح على معاليه ان يرسل عددا وفيرا من المجلة وفيها هذا المقال ليطلع عليه هو واخوانه وليكون لديه ما يعطيهم الحجة ويمنحهم النور ، ولا ينبغي ان تكره هذه الأسئلة فان الحق واضح يزيده وضوحا وجود الأسئلة العاثرة تجد عنها الجواب الصحيح .

وقد تعلمنا مما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية فقد رأينا تواليفه طافحة باسئلة يتولى الاجابة عليها كان شيخ الاسلام يستحث السائلين ليسألوه ، او كأني ولثقتي به اظنه وقد عرف الحيرة في بعض النفوس يضع الأسئلة تشويقا للاجابة ويضع الاجابة توثيقا للايمان .

ينبغي الا نستوحش من اي سؤال حائر او مغرض فان لدينا ولدى علمائنا من الحجة والبرهان ما نقص به سؤالا باطلا وهوى مغرضا .

والله ولي التوفيق ..

محمد حسين زيدان

رد
فضيلة الشيخ محمد متـ

س : كيف يمكن الاقتناع بان دين الاسلام هو الدين الصحيح وان سائر الأديان باطلة ؟ وان القرآن كلام الله منزل من عنده لا يقبل التغيير او التحريف ؟ وما هي الاثباتات على صحة بعث النبي صلى الله عليه وسلم وانه رسول من عند الله حقا ؟؟

ج : ما دام أن السائل يسأل فلا بد وانه اعترف بالأديان الأخرى - اذن فمبدأ اتصال السماء بالأرض لوضع منهج يسير عليه الانسان وارد ومقتنع به بدليل انك آمنت أن هناك أديان وما دام هناك أديان بالجمع فلا بد انه جاء دين ما وبعده دين آخر وبعده دين آخر وهكذا فحين تبيح أن يرد دين على دين ثم دين آخر عليهما وهكذا فأنت أخذت بمبدأ أن الدين موجود وتوارد الأديان وتعاقبها موجود . فاذا كان الأصل مسلم به وهو وجود الدين وتعدده مسلم به لتعاقب الأديان فاذا ما جاء شيء اسمه دين لم يخرق القاعدة ولكن تأت لتنظر في الأديان أهناك شيء متفق عليه لم يتغير أبدا وأن هناك قاسما مشتركا بين الأديان وهو الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وكذا وكذا وكذا ، وهذا الايمان أظل متفقا من أول دين في أذهان الناس أم تأت عليه فترات يبهت فيها وينطمس - اذن مجيء دين بعد دين انما جاء ليذكر « فذكر انما أنت مذكر » • فمذكر انما جاءت لوجود الأصل ثم طرأت عليه غفلة، وبعد ذلك يجب ان تفرق بين الدين وتشريعات الدين • فالدين هو القدر الايماني المشترك في كل الأديان • توارد الأديان عليه تذكير به ان أغفل الناس عنه والا فكل مبدأ خير ان لم تظل تحث عليه دائما يكاد ينطمس بأهواء الناس مرة فمرة الى أن يزول اذن في القدر المشترك جاءوا مذكرين • والدين ليس هو التشريع وانما التشريع من مستلزمات الدين • التشريع أفعل •• في الفعل في السلوك،

ولى الشعراوى على بعض الأسئلة

افعل كذا ، ولا تفعل كذا ، وتجد الأفعال التشريعية هي التي تختلف باختلاف الزمان وتختلف باختلاف المكان . والأديان انما اختلفت كتشريع ولم تختلف كدين . وتتابع الرسل فالأديان انما جاء ليذكر بالدين الذي تنسيه شهوات النـــاس وأهواؤهم التشريعات التـــي تجيء تناسب البيئـات وتتـاسب الزمان لأن الانسان الأول كانت كل مقومات حياتــه بالفطرة وصلته بواهب الأسباب مباشرة . حين تتقدم الحياة وتتقدم العقول في مسائل الدنيا تعطيك الشيء الذي كنت تحصل عليه بمجهود كبير بمجهود بسيط تيسر عليك سبيل الأشياء ومشقتها ، اذن كان المفروض أن يتوفر الزمن ، فالتي كـانت تغسل الملابس طوال النهار أصبحت باستخدام الآلة تغسلها في ساعة ، فنشاطات الذهن في اكتشاف الأشياء جاء ليسهل على توفير الزمن ، لكن نلاحظ أنه مع تقدم يوفر الزمن من نفس عطاء التقدم ما ينهب الزمن . فالمسألة تظل كما هي من نفس هذا التقدم جاء ما ينهب الزمن . التشريعات حين تأتي يجب أن تفهم أن التشريع المقصود منه مصلحة المشرع له ، المشرع لا ينتفع بشيء ، العالم كان في الماضي منعزلا وكل بيئة لا تعلم شيئـا من البيئـة الأخرى ، ولذلك كانت الآفات متنوعة وكان الرسول يأتي الى البيئة ليعالج آفة معينة والرسول الآخر يعالج آفة أخرى في البيئة الأخرى لأنه لم يكن هناك التقاء . ولكن كلما تقدم الزمن كلما تيسر الالتقاء وسهل الاتصال فتصبح الداءات في مكان هي الداءات في المكان الآخر . اذن فلا بد من وحدة الدين لأن ليس هناك انعزال . فالآفات مشتركة . فكلما نرتقي نرتقي الى ما يؤدي الى الاندماج ان لم يكن حدوديا أو جغرافيا فخلقيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، اذن فالعالم سائر الـى أن يكون وحدة ، اذن المنطق الطبيعي يحتم أن يكون الذي يجيء لوضع نظام يجب أن يكون شيئا واحدا .

ولم يدع أي رسول من رسل الله السابقين أنه جاء للناس كافة ، وأن دينه دين عام ، وانما خصص كل رسول الجهة التي أرسل اليها ، فهذا الرسول الى بني اسرائيل وآخر الى مدين وهكذا ، فكان لا بد وأن يجيء رسول ليقول في دعواه أنه للناس كافة ، والدين جاء بحيث لو أن الناس اتبعوه لما نشأت لديهم مشاكل ، هل نمتنع على العقل البشري المجرد غير المتصل بدين أن يضع شيئا يحل به المشاكل ٠ قد يحدث هذا ولكن بعد معاناة التجربة والمرارة فالذين قاموا بالثورة الفرنسية مثلا ركزوا على موضوع حقوق الانسان والحرية لأنهم شقوا بتجارب طويلة ، اذن فلا يمتنع الدين أن ينتهي العقل الى قضية جاء بها الايمان ، وحينئذ يصفها الناس لا لأن الايمان قال بها ولكن لأن الظروف وضغط الأحداث هو الذي الجأهم اليها ٠ اذا فحين يكلفنا الله بشيء من هذا اللون فهو يكلفنا به من البداية قبل أن نعاني التجربة ٠ وهذا يجب أن يدلني الى ضرورة الثقة والايمان بما قال وان لم تضغط علينا الحوادث ، لننتهي اليه ، واذن فقول الله تعالى « والله متم نوره ولو كره الكافرون » ليس معناها أن يؤمن الناس بدين محمد ولكن لأنهم سينتهون الى الأحكام قهرا عنهم ويعم نور الله وان لم يأخذوا ثواب ذلك النور ٠ وكأن الله يقول لهم انكم ستنتهون بضغط الأحداث الى ما فرضته عليكم وأنا أوفر عليكم المشقة والجهد، وسينتهي العالم الى الاسلام يوما ما ، فاذا جاء القرن الثلاثون أو الأربعون أو الخمسون ، اذا أذن الله للدنيا أن تمتد والقرن الألف ، فانه سيعلم أن الناس قد قالت ذلك قديما وسينتهي الناس الى الاسلام بضغط الأحداث وفرض الظروف ٠ فمن لم يأخذه كدين سيضطر الى أن يأخذه كنظام ، وحينئذ يصدق قول الله تعالى « والله متم نوره » وكون أن النور يتم بواسطة الخصم الذي لم يأخذه لأن الدين أمر به يبين أنه قد أخذه لأن الحياة لا تصلح الا به ، وهذا أوقع للتصديق بالدين ، ومجيئه على يد الكافر بهذا الدين على أنه حياة يدلني على أن الله كان مأمونا على أن يقنن لي تقنينا سنلجأ اليه وان كنت كافرا به ٠ اذن فحين يجيء رسول يقول أنا رسول للناس كافة ، فمنطق الأحداث يحتم هذا ونحن نرى أن الرسول الذي ادعى هذه الدعوى وأطلق القضايا لا للمؤمنين به ولكن أطلقها للدنيا كلها والقرآن مسجل ومحفوظ لا يتغير ليكون حجة قائمة لا يطرأ عليه تغيير ولا تحريف ، وغير معرض لما قام به أهل الكتاب في تبديل دينهم ، وحين يقول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » انما يقول بثقة من يعلم أن الحياة ستؤول الى ما يقول وأن هذا الحفظ قضية ايمانية ، لا تتخلف أبدا ٠

ورسولنا صلى الله عليه وسلم حينما قال « اني رسول الله اليكم » وبدأ في ابلاغ الرسالة ، وقبل أن يأتي بشيء من معجزات السماء تؤيد صدقه وجد

من يؤمن به بمجرد ما قال اني رسول ، ما رصيدهم في الايمان قبل أن توجد معجزة .. انها التجربة في ماضيه تجربتهم في أنه ما كذب عليهم وانه كان على خلق واستقامة ، ولذلك بادرته السيدة خديجة رضي الله عنها حينما بدأ نزول الوحي عليه بقولها « والله لا يخزيك الله أبدا ، انـك تحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق كل مكلوم » ..

كما أن أبا بكر رضي الله عنه يقول له صدقت . فالمعجزة لا تأت لمن يؤمن . بل تاتي للذي يكابر في أن يؤمن ، الا أنهـا اذا جاءت بما يقنع غير المؤمن اكدت الظن في نفس من آمن .

فياتي الرسول فتؤمن به القلة ثم ياتي بالقرآن المعجزة التي تثبت انه صادق عند من يكذبه ثم نلاحظ تطور العملية .. لو أن الناس جميعا آمنوا بمحمد بمجرد أن دعاهم الى ذلك لقال احدهم ان قريشا قد الفت السيادة على العرب فجاء من يقدم لها الدنيا فاتبعته ، ولكن وجد المخالف منهم ومن العائلة نفسها حتى لا يقال أن العصبيـة لمحمد خلقت الايمان بمحمد ولكن الايمان بمحمد هو الذي خلق العصبية لمحمد ، لأن الذين أيدوه بعيدا عنه .. ثم ترى المكابر الذي جاءت المعجزة من أجله .. رأيـه في المعجزة ، يريد أن ينقضها ونلاحظ مراحل ذلك عنـده لا في معطيات المعجزة ، ولكـن في المعجزة نفسها كأسلوب وبيان سبق أن تعرضت لهذا الموضوع في الماضي وقلت :

قالوا هذا سحر .. سحر .. كلمتكم هذه تكذبكم لأن المسحور لا ارادة له مع الساحر . فكيف سحر هؤلاء (المؤمنين) ولم يسحركم . بقاؤكم لكي تقولوا أن هذا سحر دليل على ان هذا ليس سحرا ولأنه لو كان سحرا لسحركم جميعا ولم يتأب احد على الساحر .

قالوا مجنون .. فلنرى ما هو مقياس الجنون .. المجنون ليس له ضابط من قيم يضبط سلوكه فليقيسوا محمدا علـى ذلك . لقد نمته الله عز وجل بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » أي أنه يسير وفق قالب اخلاقي لا يميل عنه ، وهذا ضد الجنون تماما ، ولذلك أوردها عز وجل بقوله « ما أنت بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم » . فالأخيرة تنقض الأولى .

قالوا كذاب .. يكذب .. افترى ، فنقول لهم هل يمكنكم أن تاتوا بكذب مثله ، قالوا افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » .

قالوا كاهن ٠٠ قلت تلك حجة واهية ٠٠ الكاهن معروف بكلامه وأسلوبه فهل هذا كلام كاهن ٠٠

قالوا شاعر ٠٠ هل تقولون هذا وأنتم أهل الشعر « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » ٠

ولما لم يتمكنوا من الطعن في المعجزة نقلوا كلامهم الى مـا نزلت عليه المعجزة ٠٠ ولكنهم قالوا عن المعجزة « أن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » فأقروا بأنه هدى ولكنهم يخافون من النتيجة ٠ ثم قالوا « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » اذن نقلوا الكلام على من نزلت عليه المعجزة ، هذا عن المعجزة ومن نزلت عليه المعجزة ٠

أما عن الموضوع نفسه فقد كان المسلمون قلة مضطهدة ، وهذا ما قوى الايمان في نفوسهم ووطـد العقيدة في قلوبهم فصنعوا مـن معجزات لنشر هذا

الدين فكان الدليل يأتيهم تلو الدليل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتي عليهم زمان لا يستطيعون حماية أنفسهم فيه فيأمرهم بالهجرة الى هناك ، وهناك ثم ينزل الوحي ، قرآن يتلى في مكة ليقول لهم « سيهزم الجمع ويولون الدبر » كيف يجازف بهذه القضية والزمن قد يكذبها ولا تحدث ؟ وهم قلة والمقدمات لا توحي بذلك أبدا ، حتى أن عمر نفسه قد قال أي جمع هذا ؟! الى أن يأتي في بدر ويرى كيف يهزم الجمع ويولون الدبر ٠

ويأتي على الوليد فيقول عنه « سنسمه على الخرطوم » ووجدوه في بدر مضروبا على أنفه فالقرآن حين يتلى ويكرره محمد في الصلاة يبعث الثقة في نفوس المؤمنين على أن ما يقوله القرآن سيأتي طبق ما هو كائن ٠

ثم ينتقل القرآن الى التحدي في أمر مستقبل وبيد خصمه الحريص على أن يكذبه فيقول « تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب » ٠ فحكم بأن أبا لهب سيموت كافرا وسيصلى النار هو وامرأته وكان بامكان أبي لهب أن يؤمن بمحمد كما آمن عمر وعمرو بن العاص وخالد ابن الوليد ، فما الذي كان يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات في أمر لأبي لهب فيه اختيار ، وكان بامكانه أن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حتى يكذب مـا قالـه القرآن ، الا أنه لم يفعل ، وهذا دليل على صدق محمد وما جاء به محمد ٠

ثم يتخطى ذلك الى أن يتكلم عن أحداث لا دخل له ولا لأمته فيها بعيدة عنهم بعد السماء عن الأرض ، والمهم أن يتحدث بعد فترة وجيزة حتى يشاهدها من سمع سابقتها وشاهدها (أي قصة أبي لهب) فيقول « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين » . فيذكر المعركة ونتائجها ·· معركة تحدث بعد بضع سنين ، سبع أو ثماني سنوات ·· أي عقل الكتروني يستطيع أن يتحكم في معركة ستحدث مستقبلا بين قوتين ويتحكم في نتيجتها ، ما يستطيع أحد ذلك ، ويحددها ويقول في بضع سنين « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » . فتأتي في نصر بدر ، فحين يرى المؤمنون ذلك يزدادون تمسكا بهذا الدين حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمكن منه الايمان ويثبت الله به فؤاده « وتنزل من القرآن ما نثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » .

وبعد ذلك ننظر الى جنس ما جاء به الاسلام ·· نظام يحكم العالم ·· هل سبق الى مثل هذا النظام حتى يقال أن محمدا اقتبسه ·· كلا لم يسبق اليه ·· وهل الأمة التي وجد فيها أمة متفتحة الى الطموح ومتطلعة الى أن تسوس الأمم ·· كلا ·· انها أمة متأخرة ·· مجموعة قبائل لا يحكمها نظام جماعي ، لم يجيء مثلا في فارس أو الروم ، أمم متمرسة حضاريا ولها نظم ·· فيقولون قرأ من كتب الديانات وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ثم يقولون يعلمه أحد ، فيرد الله عليهم بقوله « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » ·· ثم لنتأمل في النظام الذي جاء به أنه فيه من قضايا حركة الحياة في المجتمع المعاصر ما لم تكن موجودة حينئذ حتى يمكن القول أنه رأي من أدواء البشر ما رأى فوضع لها العلاج المناسب الآن ·· فنجد أن القرآن قد وضع الله فيه الرصيد الذي يستقبل به كل طموح ذهني بما يتسع له العقل الذي عاصر النزول ولا يضيق به العقل الذي سيصل الى ما يصل اليه بأسلوب مناسب ثم تأتي الأحداث أو الابتكارات أو الاكتشافات في أسرار هذا الكون لتؤيد ما ذهب اليه قبل أن توجد هذه القضايا .

فكأن الذي لا يؤمن بمحمد رسولا يريد أن يصل به الى مستوى اله ·· لأنه خبير بالأشياء كما هي بدون اختيار للتابعين له في أن تكون على وفق ما يريدون حتى من الخصوم ·· وكم آفة طرأت على المجتمع ووجدنا لها في الاسلام مثلا . فعلى سبيل المثال التعسف في استعمال الحق ·· ادعى رجل عام ١٧٩٨ ان ألمانيا أول من فكرت في هذا حتى جاء محام من بني سويف عام ١٩١١ باريس واثبت أن الاسلام قد جاء به قبل أربعة عشر قرنا ·· الرجل الذي

كان له نخل فتعسف في استعمال الحق وأصبح يدخل على الرجل في كل وقت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اما أن تهبها له أو تبيعها أو تقطعها ·· فرجع الألماني عن كلامه وقال كنت أقول عن ألمانيا أنها وضعت كذا ، ولكن يجب أن يرد ذلك الى الاسلام ·

ومثل ذلك قضية الاثبات ، قضية الجنايات السلبية والديون التجارية وغير ذلك مما ضغطت الأحداث على الناس كي يفكروا فيها ، جاء بها الاسلام منذ زمن طويل وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ليست من عنده ولكنها من عند الله « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به » ·

والقرآن الذي هز الدنيا هذا الهز ما هي العبقرية التي جاءت به كما يدعي بعض الناس ·· أرأينا عبقرية تأخر تفجرها الى سن الأربعين ·· كل العبقريات تظهر بعد البلوغ مباشرة وتأخذ قمتها في العشرين ·· فأين عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ماكث بينهم لم يقل كلمة أدبية ، ثم يأت بكلام يعجز الفصحاء ·· هب أن العبقرية كانت عنده ثم أخرها ليفجرها في سن الأربعين ما الذي كان يضمن له أن يعيش الى أن يبلغ الأربعين ·· والقرآن الذي يقول الله عنه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » لا يمكن أن يقول هذا الا اذا كان حجة عليه ، وكذلك الحال حين يقول « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » معنى ذلك أنه سيريهم فعلا ، وكذلك حين يقول « ويخلق ما لا تعلمون » ·

وحين كان ينزل النجم على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقول للصحابة اكتبوا ليست المعجزة في أن يكتبوا ما يقول ولكن المعجزة في ان يكتب هذا ويكتب ذلك ثم يقرأه الرسول في الصلاة لأول مرة فيقرأه كما أملاه ·· فأنا مثلا أتكلم منذ نصف ساعة وأنت تسجل على هذا الكلام فهل أستطيع أن أعيد الكلام نفسه كما سجلته علي ·· لا أستطيع أن أعيد ما تكلمت به خمس دقائق فقط ما لم أكن قرأت محفوظا لغيري ·

فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن مرة أخرى عليهم فحسب بل انه يأمر بوضع الآية أو الآيات في مكانها من السورة ويضع السورة في ترتيبها بين السور ثم يقرأ في الصلاة ما أمر بوضعه بنفس الترتيب ، وهذا دليل على « انا علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » ·

صدق الله العظيم